

- قراءة عمل فني، ثنائي الأبعاد، بعنوان بغداديات ، طالع شكل (1). للفنان العراقي الرائد فرج عبو آلنعمان.
- بقلم شذى فرج عبو . (المصدر كتاب دليل عناصر الفن وأسس التصميم للمؤلفة شذى فرج عبو، دار سطور للطباعة والنشر ، بغداد. 2022م).



شكل (1) لوحة زيتية للفنان العراقي فرج عبو بعنوان بغداديات، وقد وظفها الفنان الراحل لتزيين واجهة كتابه الشهير بجزأيه (علم عناصر الفن).

ولد أستاذ الفن فرج عبو آلنعمان Art Professor Faraj Abbo Al Numan في مدينة الموصل بالعراق (1921-1984) م. وقد ظهرت موهبته المتميزة واهتماماته الفنية منذ نعومة أظفاره، كما ارتبطت نشأته بالأدب والمسرح بالإضافة إلى الفن، حيث عمل في مجال الكتابة والتأليف والإخراج والديكور المسرحي، وتميز بخط كتابي جميل، كما أجاد أربع لغات كتابةً وقراءة. نشأ فرج عبو محباً للفن بكنف عائلة تشجع الثقافة والأدب والفن، خاصة وأن أخوته الأربعة نجم، وخضر، وعبد الأحد، وأبراهيم امتهنوا وظائف تتعلق بالعمارة والنحت وتدريب الفن. في حين تخصصت أخته هدية باللغة والأدب العربي. منحتة الحكومة العراقية بعثةً إلى القاهرة للحصول على درجة البكالوريوس من كلية الفنون الجميلة، قسم التصوير عام 1950م. ثم سافر إلى روما، إيطاليا لاستكمال الدراسات العليا، وحاز على أعلى مؤهل في الاختصاص، بدرجة الشرف الأعلى سنة 1954م من قسم التصوير. كما قام بتدريس مادة الرسم والتصوير في عدد من المدارس الثانوية في بغداد والحلة. وبعد حصوله على شهادته العليا من روما انضم للكادر التدريسي في معهد الفنون الجميلة، ببغداد. حيث لم تكن أكاديمية الفنون الجميلة قد أسست بعد. فقام هو ولفيف من أصدقائه الأساتذة والفنانين بتقديم طلب إلى وزارة التربية والتعليم العالي العراقية، وبعد جهود حثيثة ومتابعات طويلة،

حصلت الموافقة وتم إرساء أسس الأكاديمية وإنشائها لتصبح منارةً لطلبة الفنون بالمنطقة العربية. حيث كان يقصدها طالبو الفن والعلم من أنحاء الوطن العربي كافة لسمعتها الأكاديمية والفنية الرصينة.

ساهم فرج عبو بتخريج دفعات عديدة من الطلبة المتميزين في مجال الفن التشكيلي العراقي، والخليجي، والعربي. وخلال مسيرته الفنية تولى العديد من الأدوار في المشهد الفني العراقي الذي كان في أوج عطائه آنذاك. خدم الوزارة لمدة لا تقل عن الأربعين عامًا، وحاز على لقب الأستاذية في عام 1983م. وفي سنواته الأخيرة كرس علمه وفنه لتأليف كتاب أكاديمي رصين من جزئين، يفاد منه طلبة الفن جميعهم في العالم العربي بعنوان (علم عناصر الفن) باللغة العربية. كما كان مهتمًا بتطوير مهارات طلابه الفنية وكان مثالاً للرعاية الأبوية والعطاء العلمي الأكاديمي غير المحدود. ابتدأ اتجاهه الفني بالمدرسة الواقعية وبرع فيها وعشق الطبيعة، والإنسان، والعمارة، حتى أن أعماله الأولى تميزت بحس أكاديمي كلاسيكي عالٍ. صور فرج عبو الإنسان والطبيعة حتى تميز في إجادتهما، ونستطيع القول إنه تميز في تقنيات التصوير بالألوان المائية بحرفية متقدمة، ودرجة عالية من الشفافية، وقد أعتبر من أهم الفنانين العراقيين الرواد الذين أجادوا هذه التقنية، ولم ينافسها فيها أحد.

في عام (1951) م اجتمع عدد من الفنانين العراقيين الشباب ومنهم فرج عبو من تخصصات مختلفة بقيادة النحات العراقي جواد سليم، شملت الفن التشكيلي والمسرح والأدب والعمارة والطب، وقاموا بتشكيل مجموعة فنية تحت لواء حركة جماعة بغداد للفن الحديث. كانت هذه الجماعة نشطة فنياً، تؤمن برسالة نشر الوعي الفني وتأسيس فن أكاديمي عراقي رصين. وبالفعل أنجزوا العديد من التجمعات الفنية المحلية والعربية، وأقاموا المعارض الفردية والمشاركة في قاعات العرض بالعاصمة بغداد ومنها قاعة كولونيكيان للفن الحديث. وأعلنوا رؤية المجموعة الفنية وأهداف هذه المدرسة للعالم أجمع، حتى ذاع صيتهم وعلى مدى ثلاثة عقود لاحقة. لقد انتعشت حركة بغداد للفن الحديث من خلال أعمال هذه المجموعة في تلك الفترة وهي تحمل الطابع المبتكر الأصيل والمميز لهذه المدرسة، وتصدرت بتفرد لها المشهد الثقافي العراقي وبجدارة لتصبح الطابع الفني المميز للفن العراقي لتلك الحقبة الزمنية والسياسية من تاريخ العراق.

وتميزت هذه الحركة بتعشيق الحداثة في التكوين العام للعمل الفني مع تفاصيل الرموز التراثية البغدادية وممارسات الحياة اليومية للفرد العراقي. والتأكيد على التجريد في اختصار التفاصيل والألوان، بطرح تكوينات أصيلة ترد من صميم الفكر، والتراث العراقي. كما تبنت هذه المدرسة المناخ العام للبيئة، وألوان الطبيعة العراقية التي تمتاز بفسولها الأربعة الملونة، وتراثها السومري والبابلي الضارب أطنابه في أرض وادي الرافدين. ونجد في شكل (2) دعوة لإحدى معارض الجماعة تسرد أسماء بعض من أعضائها المشاركين بوحدة من معارضهم التشكيلية، كما نلاحظ واحدة من تكويناتهم الجميلة المستخدمة بهذه الدعوة.

امتلك فرج عبو في كل مرحلة من مراحل حياته الفنية أسلوباً معيناً ولوحة ألوان Color Palette خاصة وسمت تلك المرحلة من نتاجاته الفنية. وفي مرحلة السبعينيات والثمانينيات؛ أي فترة الخمس عشرة سنة الأخيرة من حياته، امتلكت أعماله لوحة ألوان ذات تدرجات زرقاء - خضراء طغت على طابعه الفني. حينما اتجه اهتمامه إلى التراث العباسي والنقوش الزخرفية والتكوينات الفريدة للتراث الإسلامي، فأنجز عدداً من الأعمال المميزة التي طرزت تراث الفن التشكيلي البغدادي آنذاك بتحف تشكيلية مبتكرة تدمج التجريد المعاصر بالتراث العراقي الزخرفي. وتعدّ لوحة بغداديات - موضوع هذا المقال - من نتاجات هذه

المرحلة. حيث أسس الفنان التكوين العام للعمل في سيادة للون الأزرق الملكي أو ما يعرف بالأزرق الروسي Russian Blue. ومن ثم بنى شبكة من التكوينات الزخرفية بتوظيف الأشكال الهندسية والعضوية، والتي من خلالها عبر عن نكهة العاصمة بغداد وطابعها المحلي والذي اشتهرت به من دون الدول العربية. فقد استلهم فرج عبو من النقوش العباسية التي وردت بكثرة في التراث العراقي لفترة تفوق الثمانمئة عام، التشكيلات التي عمل على تطويرها وطرحها بإنشائية متراكبة ومتراصة في خلفية العمل وأرضيته. وتوازن وتناسق ثابتين ومستقرين خلقا مناخاً تراثياً عربياً إسلامياً رائعاً وجميلاً. ثم قام الفنان بتحريك المجال البصري للعمل من خلال إضافة مستوى ثانٍ من الأسطح والأشكال العضوية لتنساب باتجاه عكسي للقاعدة ليؤكد بذلك على مقدمة العمل. وهنا اختار الفنان لوحة ألوان من تدرجات اللون الأحمر والبرتقالي والأصفر عكس الجو العام للأزرق، ليخلق نقطة جذب وسيادة وليحرك المشهد البصري. وهو بذلك ينقل المتلقي إلى مرحلة التشويق والتحفيز الذي يعاكس الملل والرتابة لقاعدة العمل ذات الطابع الأزرق البارد.

وعلى الرغم من ضحالة المنظور وشحة عمق الأبعاد في هذا العمل لكونه زخرفياً، إلا أن التراكم والتعشيق والتقارب بين العناصر أدى مفعوله في إنشاء تكوين توفرت فيه عدة مستويات، مما وفر للمتلقي الشعور بالمنظور والبعد الثالث. ويدرك المتلقي في الوهلة الأولى عند مشاهدة هذا العمل بأنه أمام قطعة حديثة للتراث العباسي الإسلامي، وجماليات الزخارف المتداخلة مع المفهوم المعاصر للتجريد والحداثة. ولكن بعد التمعن والتبحر في العمل يخال للمتلقي بأنه يتطلع إلى صورة علوية لمدينة، متكونة من عدة مستويات من الشوارع والمسارات والطرق المعلقة، وتحته تفاصيل المدينة الملونة من حدائق ومنازل وأبنية. إن دقة هذا العمل والتفاصيل الممتعة في كل زاوية وركن تعبر عن عشق الفنان في إيصال صورة مثالية عما يدور في خلدته. وكذلك الطرح المتناسق للرموز والأشكال التراثية التي تعمل مع بعضها البعض في دعم الحوار البصري، من تناسق وانسجام وتدرج في الشكل والحجم.

وفي النهاية يمكن القول إن فرج عبو استطاع أن يوفر مثلاً في الإبداع الفني من خلال توظيف مختلف أنواع الأشكال والمساحات الثنائية البعد. كما أجاد في دمج التراث العراقي بالحداثة، وهو بذلك وضع أسس أسلوبه الأصيل والمبتكر، الذي أثبت تميزه محلياً وعالمياً.



شكل (2) نموذج دعوة للمعرض الرابع لجماعة بغداد للفن الحديث 1956م، يمثل العمل الفني الوارد فيها نموذجاً لأسلوب المدرسة البغدادية.